بين الآثار الفرعونية

الدكتور سامي جبرة
أستاذ الآثار المصرية بجامعة فؤاد الأول
ورئيس معهد الآثار المصرية

مصر الفرعونية

إن التراث الذى خلفته مصر الفرعونية للعالم يعد اثمن وأبقى ما ورثته الإنسانية ، فهو آثار العهد الذى هيأ للإنسان فى العالم القديم أن يتحرر من قيود الحياة البدائية ، وأن يسير بخطوات واسعة نحو الرقى والمعيشة الهادئة فى وسط هيئت له فيه أسباب الحياة وأسلحتها . و إنه لمن حسن الحظ أن طقس مصر وتربتها الجافة حفظت لنا الكثير من شواهد هذه المدنية العظيمة بآثارها وأخبارها ومراسمها .

و إذا حاولنا أن نحيط بمدى أثر مصر فى حضارات الأمم القديمة جمعاء ، فما علينا إلا زيارة المتاحف والآثار وقراءة النصوص المصرية والاطلاع على أخبار أهل ذلك الزمان . وما علينا إلا أن ندرس التفكير البشرى كيف بدأ وكيف مضى يتعثر فى خطواته الأولى قبل أن يصل إلى نور الحقائق الساطعة . والواقع أن الإنسان العصرى قلما يفكر فى فن الكتابة مثلا وكيف تطلب جهداً كبيراً من التحسين والتجارب قروناً عديدة ، وقلما يفكر فى أن تطور الجماعات من المرحلة القبلية إلى المرحلة الاجتماعية المنظمة لم يصل إلى هذا المدى إلا بعد جهاد طويل عنيف .

وحسب المرء دراسة التاريخ والحضارة العالمية من واقع النصوص والآثار التى خلفتها تربة مصر لكى يظفر بصورة شائقة عن تطور الفكر الإنسانى من العصر الحجرى إلى عصر الإمبراطوريات .

يعتبر العصر الحجرى القديم (البليوليتكى) جزءاً لايتجزأ من تاريخ مصر القديم ، وهو ما أثبتته اكتشافات العالم الفرنسى الأب بوفير لابيير Bouvière Lapierre . والطابق الأول فى المتحف المصرى هو أحسن مكان لدراسة هذه الاكتشافات وإظهار أهميتها . ويسهل علينا التحقق من ترقى التفكير العالمى والصعود إلى درجات الرقى بملاحظة الأحقاب المختلفة فى التاريخ

المصرى القديم . فقد انتقلت مصر من النظام القبيلى بعيوبه المعروفة ونطاقه الضيق ونزعاته الدامية إلى نظام حكومة الملكية المركزة التى يتمتع القائمون عليها بقدسية خاصة . وتعتبر مصر أقدم مثل فى التاريخ لأمة متحدة تحت تاج واحد يرعى مصالح الشعب المتضامنة .

إن الدولة القديمة (من سنة ٢٧٧٨ إلى سنة ٢٥٦٣ ق.م) وهى عصر بناء الأهرام توضح نظرية السلطة المقدسة أو الحق الإلهى فى ماخلفته لنا من مبان وآثار . فكان الفرعون (ومعناه صاحب البيت العالى أو الباب العالى) يشرف فى حياته على رعاياه من أعلى قصره ، وفى موته يرقد فى الهرم المشيد المحاط بقبور رعاياه (لوحة ١) .

ثم حل نظام حكم متمش مع التطور فى عصر الدولة الوسطى محل السلطة المطلقة فى الدولة القديمة ، كما حل القانون وأسس الحكم محل التصرف المطلق للرئيس . واقترن ذلك بقيام نظام اجتماعى جديد محل الدكتاتورية المقدسة . كما اقترن بظهور لون من الأدب الرائع والمعمار المنسجم الذى يدل دلالة كبيرة على مبلغ ذلك التطور الهام .

أما فى عصر الدولة الحديثة (من سنة ١٥٨٠ — إلى سنة ١٠٩٠ ق . م) فقد امتدت الأراضى المصرية من حدود أثيوبيا إلى أطراف الفرات ، وهو العصر الذى كانت فيه مصر إمبراطورية واسعة الحدود . وهنا عمدت السلطة الحاكمة إلى وضع نظام للامبراطورية يوجد بين رعاياها المختلفين ويربطهم جميعاً برباط مقدس هو تاج فرعون المشترك الذى يقوم على رأس هذه الإمبراطورية . وقد بلغ نجاح هذا النظام وسداد هذه السياسة أن استمد اسكندر الأكبر وأباطرة الرومان سياستهم الإمبراطورية من تقاليد الإمبراطورية المصرية فى الدولة الحديثة . وقد تكلل هذا العصر برسالة امينوفيس الرابع فى نشيده إلى الشمس يدعو الشعوب إلى التآخى والمحبة التى يمليها إشراق الشمس من أعلى السموات على الخليقة مهما اختلفت عناصرها وعقائدها . وقد تمكنت مصر من أن تجتاز هذه المراحل المختلفة وتستفيد من التجارب بفضل وحدتها السياسية ووحدتها الجغرافية .

هذه الوحدة التى لم تعقها حواجز من البحر الأبيض المتوسط إلى أقاصى النوبة مهدت السبيل

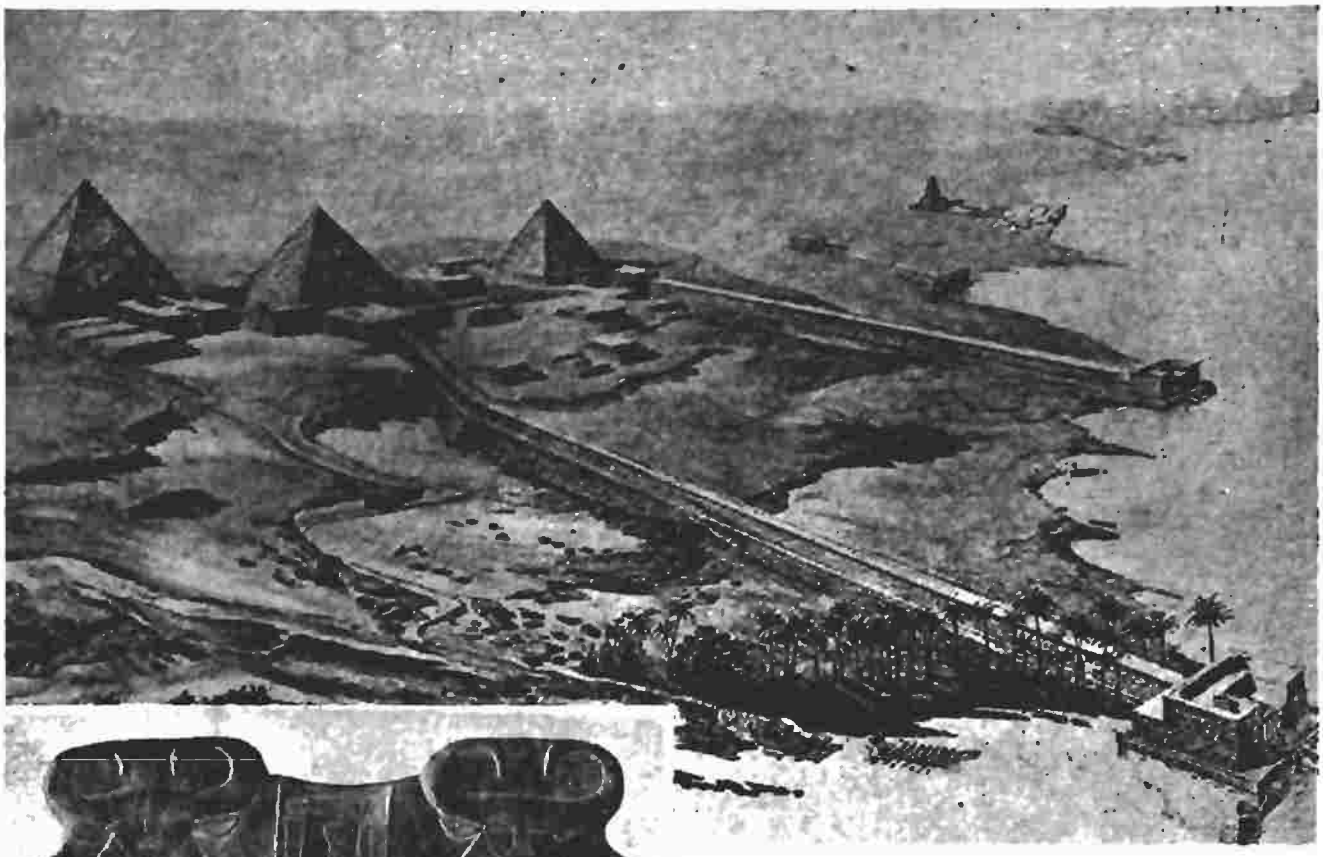

أهرام أبو صير — الأسرة الخامسة

لوح الملك نعرمر — الأسرة الأولى

تمثال من الديوريت للملك خفرع
بانى الهرم الثانى بالجيزة

تمثال من الخشب فيه جميع مظاهر الحياة
وهو معروف باسم شيخ البلد

للحضارة التى سار موكبها أربعين قرناً لم تتأثر بحضارات أخرى ، اللهم إلا فترات انقلابية قصيرة لا بد من وقوعها فى حياة الشعوب .

هناك حضارات قديمة قامت إلى جانب الحضارة المصرية فى الشرق الأوسط فى محيط الهلال الخصيب (الذى يبدأ طرفه الشرقى فى الدلتا وينتهى الطرف الآخر فى الفرات) مثل الحضارات السومارية والبابلية والأشورية التى لعبت دوراً هاماً فى تطور المدنية ، ولم تدم حضارة من هذه الحضارات أكثر من ثلاثة قرون ، وهى لم تشع وتنتشر كما انتشرت الحضارة المصرية التى أعطت الكثير ولم تأخذ إلا القليل .

فالتربة المصرية حافظت لنا على تراث الحضارة الفرعونية ، كما حافظت على آثار هامة من العصر اليونانى الرومانى فى الأسكندرية وأقاليم مصر الوسطى . أما العصر القبطى أى العصر المسيحى المصرى وتراثه الروحى ، فقد عرف لنا بالآثار النفيسة التى خلفها ، وبما وصلنا من تراجم حياة القديسين مثل : انطونيوس وباخوم وغيرهما من نساك الأديرة فى صحارى مصر .

أما العصر العربى فقد امتاز بالبساطة فى مبدئه ، وبالترف والجاه فى ازدهاره .

الدولة القديمة

والآثار المنتشرة فى مصر والمحفوظة فى المتاحف شاهد واضح للدلالة على تطور المدنية فى هذه العصور الأربعة . والمتحف المصرى بالقاهرة هو أغنى هذه المتاحف وأهمها. وقد أمر الخديو اسماعيل ماريت باشا بإنشائه فى بولاق سنة ١٨٦٣ ثم نقل إلى مكانه الحالى فى عهد عباس الثانى سنة ١٩٠٢ وقد جمع بين جدرانه ماعثر عليه من حفائر مصلحة الآثار المصرية والبعثات العلمية الأجنبية والمصرية وفيه يجد الزائر العصور المختلفة ممثلة بآثار قيمة نادرة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الرومانى .

فى الطابق الأول عرضت آثار الأسرة الأولى، ونلفت الزائر إلى لوحة الملك نارمر من الحجر الاردواز ، تعبر عما بذل من مجهود فى توحيد السلطة فى مصر بالصور دون الكتابة (لوحة ٢) .

وفى الطابق الأسفل تعرض آثار العصر الفرعونى ونماذج المعمار للدولة القديمة والوسطى وبعض التماثيل للدولة الحديثة ، وهذه المعروضات نجدها فى صحن المتحف ، وإذا اتجهنا شمالا وجدنا نماذج كثيرة للتماثيل والشواهد .

ولو لاحظنا النحت فى هذا العصر المسمى بالدولة القديمة لوجدناه يعبر تعبيراً واقعياً عن مظاهر الحياة المختلفة بالرغم من بعض الجمود التقليدى . وقد أمكن الفنان المصرى أن يعبر عن الملامح البارزة بالرغم من صلابة المادة مثل حجر الديوريت أو قابليتها للانكسار مثل المرمر والخشب . ويعجب الزائر لبداعة الصنع فى تمثال الملك خفرع بانى الهرم الثانى ، وقد وجده ماريت فى عام ١٨٥٨ بمعبد أبى الهول .

بهذا التمثال أمكن الفنان أن يعبر عن الوقار الملكى لهذا الفرعون العظيم ببراعة فائقة . فالملك يجلس على عرش يرمز إلى اتحاد الوجهين القبلى والبحرى . ونشير على المتأمل أن يلاحظ التماثيل من الجنب ، فهو إذا تطلع إلى تمثال هذا الملك المصنوع من حجر الديوريت يعجب ببراعة الفنان الذى توصل إلى التعبير عن عظمة الجالس على العرش بالصقر المجنح خلف رأسه (لوحة ٣) .

وهناك تمثال من الخشب وجد فى سقارة ، وهو معروف بتمثال شيخ البلد ، تظهر فيه شخصية صاحبه (مدير أعمال فى منطقة الأهرام) ورغم نظراته الحادة والحزم الذى يتدفق منها ، فملامحه تدل على طيبة النفس وسلامة القلب (لوحة ٤) .

وقد نجح الفنان أيضاً فى تمثال الكاتب الجالس القرفصاء ، وبيده ورق البردى والقلم فى إظهار ابتسامة ملؤها السخرية بما يمليه عليه مقدم الشونة . وفى غرفة مجاورة نجد تمثالين بالألوان لرع حوتب وزوجته نفرت الجميلة بقوامها الممشوق ونظراتها الحسنة ، وهما ملونان ولون الرجل أسمر يميل للون الأحمر ، ولون المرأة أبيض مائلاً إلى الأصفر ، وقد اتبع فى هذا التلوين ما تقتضيه تقاليد الفن المصرى (لوحة ٦) .

وإلى جانبهما تمثالان من الحجر الجيرى للكاهن الأعظم « رع نوفر » يمثله الأول وهو بملابسه

تمثال بديع من الحجر الجيرى الملون يمثل كاتبا متربعا ، وعلى ركبتيه ملف منشور من البردى

تمثالان عثر عليهما فى ميدوم ، أحدهما للأمير المسكى رع والآخر لزوجته نفرت.

تمثال جميل من الحجر الجيرى
للكاهن رع نفر

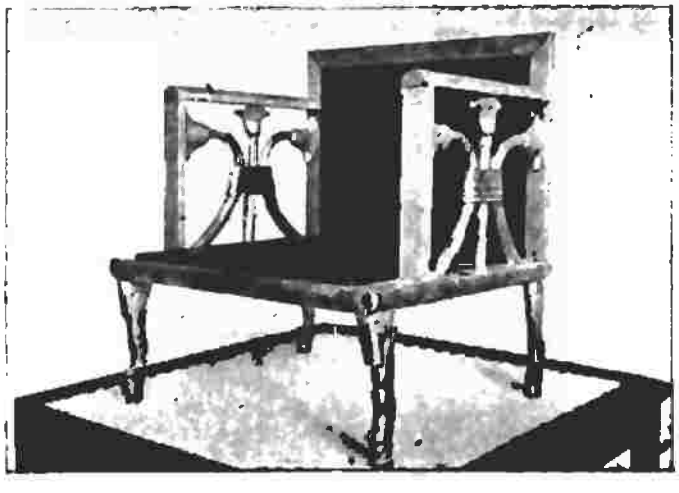

مقعد الملكة حتب حرس من الخشب المذهب
الجيزة ، الاسرة الرابعة

تمثال امنمحت الثالث من الحجر الجيرى
هواره — الأسرة الثانية عشرة

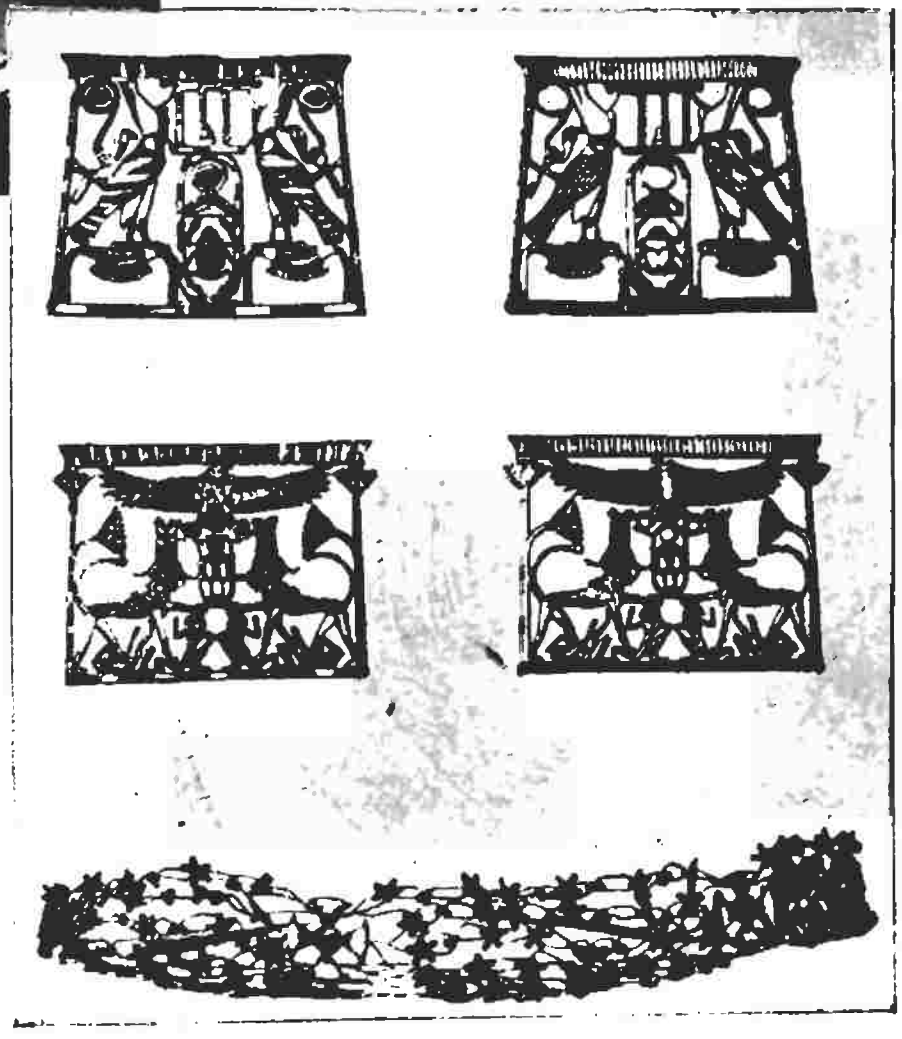

حلى من الذهب والأحجار الكريمة
الأسرة ١٢

المدنية ويمثله الآخر بملابسه الكهنوتية ، ولإظهار الأوضاع المختلفة اتخذ الفنان شكل التمثال الواقف تارة يتقدم إلى الأمام بقدمه اليسرى ، متمنطقاً بسروال و بيده عصا ومرة أخرى جالساً القرفصاء و بيده ورقة البردى . وقد حاول الفنان فى عهد الدولة القديمة أن يطرق باب التصوير بالألوان فترك لنا صورة ملونة على الجص معروفة باسم « بط ميدوم » ولم يهمل تمثيل أصحاب الحرف الصغيرة من الطهاة وصناع البيرة والخدم يحملون القرابين وغيرها من المناظر الكثيرة للحياة العامة والزراعة التى يجدها الزائر فى مقابر سقارة ، وفى مجموعها تدل على رشاقة الحركة والحياة .

لم يكتف فى عهد الدولة القديمة بنحت التماثيل من الأحجار والأخشاب ، بل تعداه الفن إلى صناعة التماثيل من البرونز ، فتمثال الملك ببى الأول الموجود بالمتحف المصرى يعد أحسن تمثال لهذا المجهود الجرىء .

إن صناعة التماثيل فى الدولة القديمة تمتاز بإتقانها فى التعبير الواقعى و باختيار أحسن المواد ، وهذا الامتياز يرجع إلى تبعية الفن والفنانين حينئذ للمصانع الملكية ، مما جعل هذا العصر أزهى عصور مصر القديمة ، وقدوة اقتدى بها الفنانون فى العصور التالية . وقد خطت الدولة القديمة فى صناعة الأثاث خطوات واسعة أيضاً ، نجد منها نماذج فى الطابق الأول بالمتحف المصرى ، وهى للملكة حتب — حرس أم الملك خوفو ، وقد اكتشفها و باشر ترميمها العلامة ريزنر (لوحة ٧) .

الدولة الوسطى

قاد دفة الحكم فى الدولة الوسطى (من سنة ٢١٦٠ — إلى سنة ١٥٨٠ ق . م) ملوك مشرعون ومصلحون ، ولذلك نجد الفنان يحاول تصوير شخصياتهم فى شىء من الحزم والصلابة ، وهذه الملامح تدل على مابذلوه من جهد فى إرجاع النظام بعد عصر الفوضى الذى ساد فى آخر الدولة القديمة . نذكر على سبيل المثال : تمثال الملك امنحتب من الحجر الجرانيت وغيره من التماثيل التى عثر عليها فى إقليم الفيوم . وقد حافظ هذا العصر على تقاليد النحت المتبعة فى مدينة منفيس .

والحجرة التى تحوى مجموعة كبيرة مختلفة من الحلى الملكية فى الطابق الأول من المتحف المصرى (اكتشفها ديموجان فى دهشور) جديرة بالإعجاب . لذلك نوجه النظر إلى تماثيل سنوسرت وامنحتب الجميلة ، فإن أشكالها تقلد ناووساً من الذهب مطعماً بالأحجار الزاهية الألوان فى أعلاها عقاب مع حيوانات خرافية ترمز إلى إله الحرب يطارد العدو بقدميه . كما نوجه أيضاً النظر إلى تاجين من الذهب للملكة خنوم حتب ، أحدهما مكون من خيوط ذهبية رفيعة بها ستة صلبان على شكل الصليب المالطى وزهور صغيرة محمرة اللون لها فروع زرقاء . أما التاج الآخر فيتكون من دوائر على شكل الزهور وسيقان مطعمة بالأحجار الثمينة ، وكل هذه الحلى خفيفة الوزن تدل على براعة الصانع وذوقه الجميل فى الرسم وتوزيع الألوان (لوحة ٨) .

أما الناحية الأدبية فإن عصر الدولة الوسطى هو عصر الاستقرار والإصلاح وتطور الفكر المصرى . وقد ترك لنا من المطبوعات الأدبية الرائعة الكثير ، منها : قصة سنوحى وقصة الفريق وشكوى الفلاح وأغانى القيثارة الخ . . .

إن ماخلفته لنا الدولتان القديمة والوسطى من الآثار يحتوى على نماذج منسجمة لمبانى الهياكل والقبور والحصون . فنجد فى عصر الأسرة الثالثة فى سقارة نماذج للأعمدة تشبه الأعمدة الدورية اليونانية . أما استخدام الكورنيش وتيجان العمد المزينة بالزهور وفروع الأشجار التى يعلوها سقف ملون بالأزرق القاتم عليه نجوم ، فقد ظهر فى مصر ثم نقل إلى اليونان ، حيث أدخل على هندسة المعابد . أما الحصون فكانت منتشرة على حدود مصر ، وبالأخص على الحدود الجنوبية شمال وادى حلفا ، حيث نجد حصنى سمنة وقمنة قائمين إلى الآن يحيط بهما سور ضخم ، وقد كتبت على الصخر الذى يطل على النيل نقوش تدل على ارتفاعات النيل ومقياس الفيضان .

حاملة قرابين من الدولة الوسطى

تاج من الذهب — من الدولة الوسطى

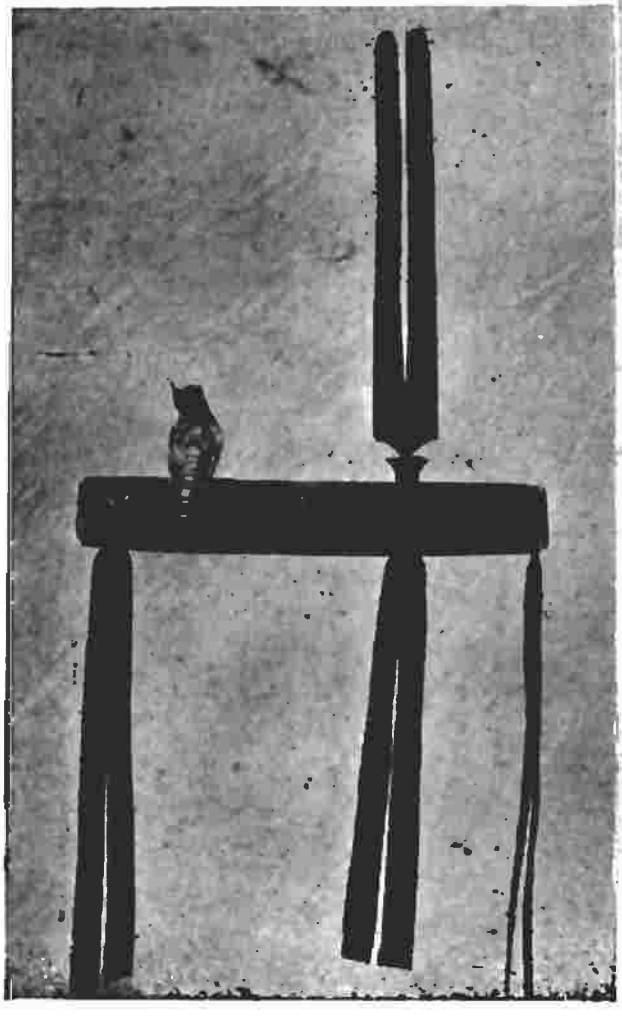

طريق الكباش

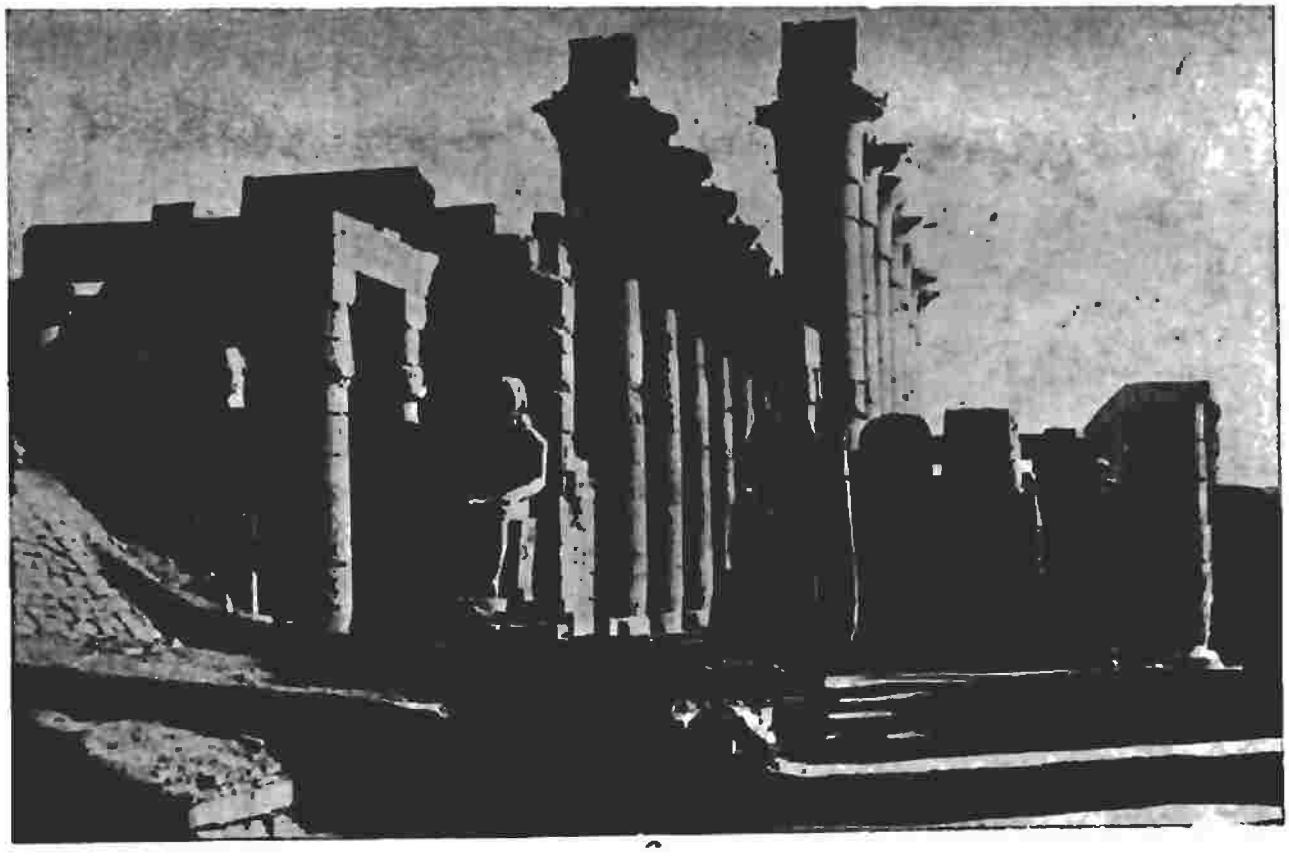

معبد الأقصر

منظر عام لمعبد الأقصر

معبد الكرنك

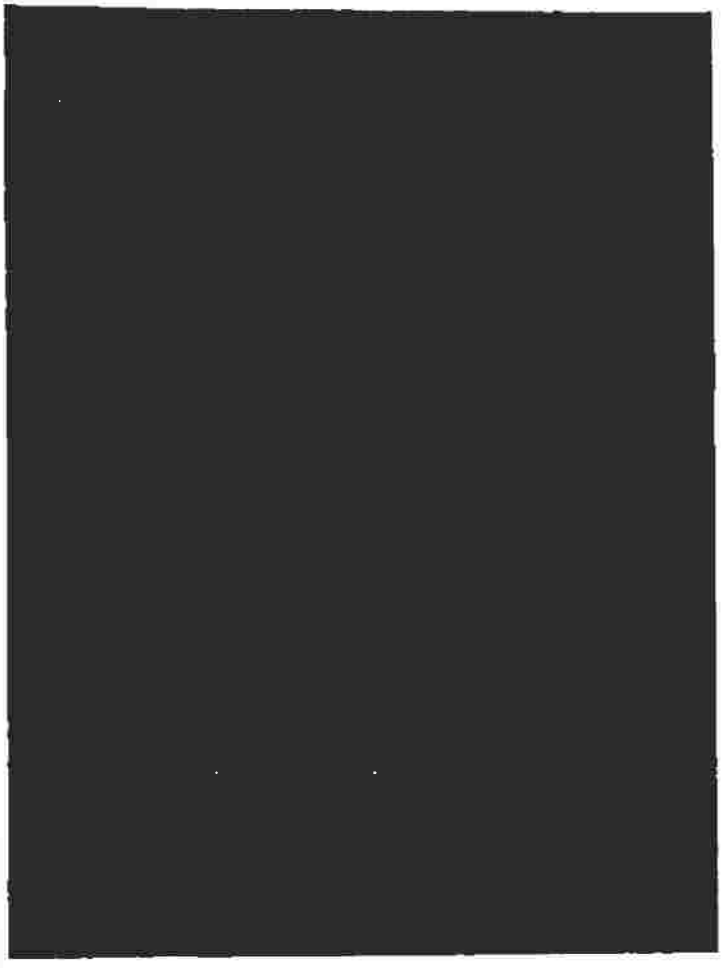

القرنة — مقبرة رعموسى

تمثال جميل من الرخام الأبيض للملك تحتمس الثالث
جاثيا يقدم وعاءين فيهما خمر أو ماء
دير المدينة ، الأسرة ١٨

الدولة الحديثة

فى عصر الدولة الحديثة اتسع أفق الفنان بحكم اتساع الدولة التى امتدت إلى آسيا الصغرى . وبحكم الاتصال بهذه الجهات وبجزر بحر إيجة . فمن ناحية المعمار كان الاتجاه نحو تشييد المبانى الضخمة الفسيحة الأرجاء . ومن النماذج المعتادة أن يتقدم المعبد ممر النصر ، على جانبيه تماثيل أبى الهول أو الكباش . وهـذا الممر ينتهى ببوابة كبيرة (بيلون) كما هو ظاهر فى معبد الأقصر أو الكرنك ، ثم يتلو ذلك قاعة كبرى بعمد كثيرة العدد ، تيجانها مقتبسة من النخل وزهرة اللوتس والبردى . وتنتهى هذه القاعة إلى قاعة أخرى ثم قدس الأقداس . وهنا تبعد بنا الشقة عما عهدناه فى معابد الدولة القديمة من البساطة التى خلت من تسجيل الوقائع على الجدران؛ فقدحرص ملوك الدولة الحديثة على تسجيل المواقع الحربية عليها ، كما سجلوا الأعمال المجيدة بكتابتها فوق واجهات المعابد وفى الفناء الخارجى منها .

وكذلك دونت الملكة حتشبسوت سيرة البعثات البحرية فى معبد الدير البحرى على الضفة الغربية من مدينة الأقصر .

وقد تحول وقار التعبير الذى نلاحظه فى تماثيل الدولة القديمة والوسطى إلى ملامح تعلوها ابتسامة . كما نلاحظ فى تمثال تحوتمس الثالث الموجود فى الطابق الأسفل من المتحف المصرى .

وتعتبر النقوش الملونة ومناظرها فى الضفتين الشرقية والغربية بمدينة الاقصر مثلا صادقاً على ما وصل إليـه الفن فى الدولة الحديثة . فإن طريقة عرض الأشخاص فى النقوش صورت تصويراً حسناً . وقواعد المنظور بدأت تشغل الفنان . وفى لوحة واحدة رتب الفنان مناظر كثيرة وحوادث غنية بأوصافها . ومن جهة أخرى يجب التنويه بذلك الانقلاب الفنى الذى ظهر فى عصر امنوفيس الرابع (أخناتون) فقد دونت الأعياد وحفلات البلاط ومناظر الحياة الخاصة بلباقة ومعرفة لم نعهدها من قبل .

و فى هذا العصر الملىء بالمفاجآت نجد رجال البلاط وكبار الموظفين يلثمون يد الملك ، وهو تطور كبير حيث كانت التحية تؤدى بتقبيل الأرض .

أما فى الحرف الصغيرة : فقد امتازت الدولة الحديثة بالمغالاة فى الألوان وكثرة النقوش الزخرفية الواضح فيها تأثير بلاد الشرق . ولكن الفنان كان دائماً حريصاً على قواعد الذوق السليم، و إن اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون المعروضة بالطابق الأول فى المتحف المصرى لهو أكبر دليل على ما ذكرناه .

كما أن التابوت الذهبى الذى كان يرقد فيه الملك المذكور ، والذى يزن ٤٠٠ كيلو جرام ، يعد من تحف العالم الفاخرة . والقناع الذهبى ومجموعة الحلى الرائعة من خناجر وعقود وخواتم والصناديق المطعمة والملونة ، تدعو إلى الإعجاب بدقة صنعها ورشاقة مناظرها . ونخص بالذكر : كرسى العرش و بعض المقاعد المطعمة .

ولدينا فى الطابق الأول بجوار قاعة الملكة (حتب — حرس) مجموعة قيمة من الحلى والأوانى والكؤوس من الذهب والفضة ، عثر عليها المسيو مونتيه الأستاذ بجامعة استراسبورج فى كشفه صان الحجر (تانيس) حيث يعمل هناك منذ سنة ١٩٢٩

إن تراث مصر الفرعونية لم يجمعه المتحف المصرى بين جدرانه فحسب ، بل يشمل المبانى المشيدة المنتشرة فى صعيد مصر . ويمكن الزائر أن يشاهد الآن مجموعة كبيرة من المعابد والمقابر بمدينة الاقصر بالرغم من التخريب الذى حل بها منذ الفتح الأشورى لمصر عام ٦٦٣ ق . م . وتحوى هذه المجموعة آثاراً من عصور تمتد ما بين القرنين السادس عشر والثالث عشر قبل الميلاد . ولقد ساهم المصريون بقسط وافر فى الأبحاث الأثرية منذ أن خطا بها إلى الأمام المغفور له الخديو اسماعيل الذى كان أول من حمى الآثار القديمة . ويرجع الفضل إلى المغفور له الملك فؤاد الأول فى إرسال بعثات من المصريين إلى أوروبا ، ليدرسوا علوم الآثار بما عرف عنه رحمه الله من رعاية الأثريين والاهتمام بهم. وقد حذت وزارة المعارف حذو العاهل العظيم ، فتوسعت فى إرسال البعثات

القرنة — مقبرة رعموسى

تمثال امنوفيس الرابع (أخناتون)

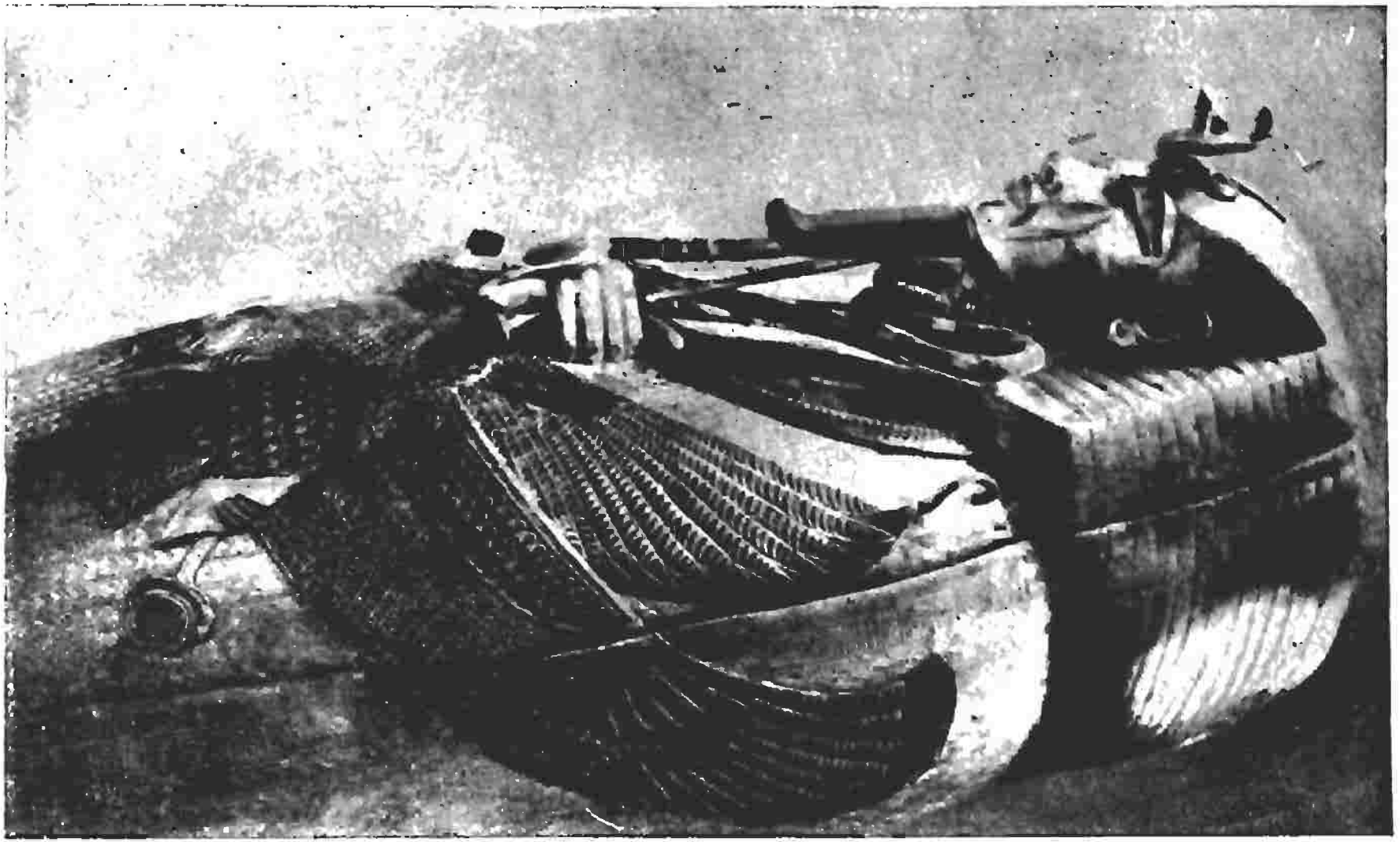

توت عنخ آمون — التابوت الداخلى من الذهب الخالص

قناع من الذهب للملك توت عنخ آمون

عرش الملك توت عنخ آمون
من الخشب المحفور المكسو بالذهب

من المصريين . وأمكن إنشاء معهد دراسة آثار مصر القديمة التابع لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

وجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله يدطولى على المصريين فى تشجيع القيام بأعمال الحفر والتنقيب عن الآثار فى عصور مصر المختلفة ، لما جبل عليه جلالته من حب لمصر الفرعونية وتاريخها وآثارها .

وتقوم المعاهد المصرية المختلفة إلى جانب المعاهد الأجنبية بأعمال الحفر والتنقيب ونشر التقارير والأبحاث العلميـة ، كما تقوم مصلحة الآثار المصرية بترميم الآثار والمحافظة عليها . وقد اشترك كثير من المصريين فى هذه الأعمـال منذ عهد ماريت وماسبيرو ، ونخص بالذكر منهم مرقص كابس واحمد باشا كمال .

وقد بدأ المصريون فى معهد الآثار المصرية بجامعة فؤاد الأول بأعمال التنقيب فى الجيزة بإشراف سليم بك حسن ثم الدكتور عبـد المنعم أبو بكر ، وقد كشفت هذه الحفائر عن قطع فنية جميـلة من عصر الدولة القديمة والعصر اليونانى الرومانى القديم .

أما فى مصر الوسطى فإن جامعـة فؤاد الأول قد وجهت إليهـا عناية خاصة ، حيث بدأت أعمال الحفر منذ سنة ١٩٣١ فى القسم الغربى من مدينة هرمو بوليس العظمى على حدود الصحراء الليبية المعروفة الآن بتونا الجبل .

يشرف على هذه الحفائر الأسـتاذ الدكتور سامى جبره يعاونه مساعدون من المصريين من خريجى المعهـد وغيرهم و بعض الأجانب فيما يخص العصر اليونانى . وقد أظهر لنا هـذا الـكشف نتائج تاريخية قيمـة عن فترة الانتقال من العصر المصرى إلى العصر الهلينى ، حيث تقابلت المدنيتان المصرية واليونانية . فالمدنية المصرية كانت تحتضر ، ولـكنها بقيت محافظـة على طابعها ومكانتها بين أمم الشرق القديم ، إلى جانب المدنية اليونانية الفتية .

يدل هذا الـكشف على التردد والقلق الذى يساور النفوس فى كل العصور عندما يؤذن عصر حضارة بالضعف لتحل محلها حضارة أخرى . وقد أمكن الـكشف فى الخمس عشرة سـنة الأخيرة

عن مدينة كاملة بمعابدها الجنائزية ومنازلها الملونة وميادينها الفسيحة ودروبها الضيقة . وقد كشفت لنا هذه الأعمال عن عصر كان غامضاً فى تاريخ مصر القديمة .

إن زيارة آثار تونا الجبل لتدعو إلى العجب ، فهى مدينة مطمورة تحت الأرض تمتد مساحتها إلى أكثر من خمسة وعشرين فداناً . بها سراديب سفلى وشوارع طويلة متشعبة وحجر خصصت لعبادة إله توت مخترع الكتابة والعلوم والسحر . ولايزال هناك حول معبد توت سور كبير من الحجر الجيرى يحيط بمنطقة واسعة ، كان يجتمع فيه الحجاج من كل أطراف مصر يحملون معهم القرابين من تماثيل وأوانى خزفية إلى هذا الإله المحبوب . وقد أمكن المشرف على هذه الحفائر أن ينشىء هناك متحفين ، أحدهما فى أحد السراديب القديمة والآخر على سطح الأرض .

ونضيف إلى ماتقدم بعض أعمال التنقيب التى يشرف عليها بعض العلماء المصريين مثل حفائر العصر الحجرى بالقرب من المعادى ، ويديرها الأستاذ مصطفى بك عامر الذى قدم نشرة أبحاث عن هذه المنطقة ، أتى فيها بمعلومات قيمة عن حضارة الشمال فى عصر ندرت معلوماته .

وهناك حفائر جلالة الملك فاروق الأول فى حلوان ، ويشرف عليها الأستاذ زكى سعد ، وقد كشف هناك عن أربعة آلاف مقبرة من العصر الطينى فى حدود مدينة هليوبوليس القديمة وقد قام الأستاذ المذكور بأعمال أخرى بمنطقة سقارة ، وكشف هناك عن طريق يؤدى إلى مقبرة الملك أوناس بالأسرة السادسة .

وهناك حفائر أخرى للأستاذ الدكتور احمد بدوى بجامعة فؤاد الأول فى منطقة ميت رهينة بمديرية الجيزة ، أدى كشفها عن معلومات قيمة للأسرة الثانية والعشرين فى عهد الملك شوشنق وعثر فيها على لوحة تاريخية هامة لأمونوفيس الثانى (الأسرة الثامنة عشرة) .

هذا بخلاف أعمال التنقيب والترميم التى يشرف عليها موظفو المتحف المصرى ، ونخص بالذكر منهم : محمود حمزة بك ، وحفائر بلدة قطير بالدلتا .

أما الأستاذ عبد السلام حسين المهندس فقد كشف عن معبد استقبال الملك أوناس ومدخل هرم الشواف وهو لملك حكم قبل الملك أوناس .

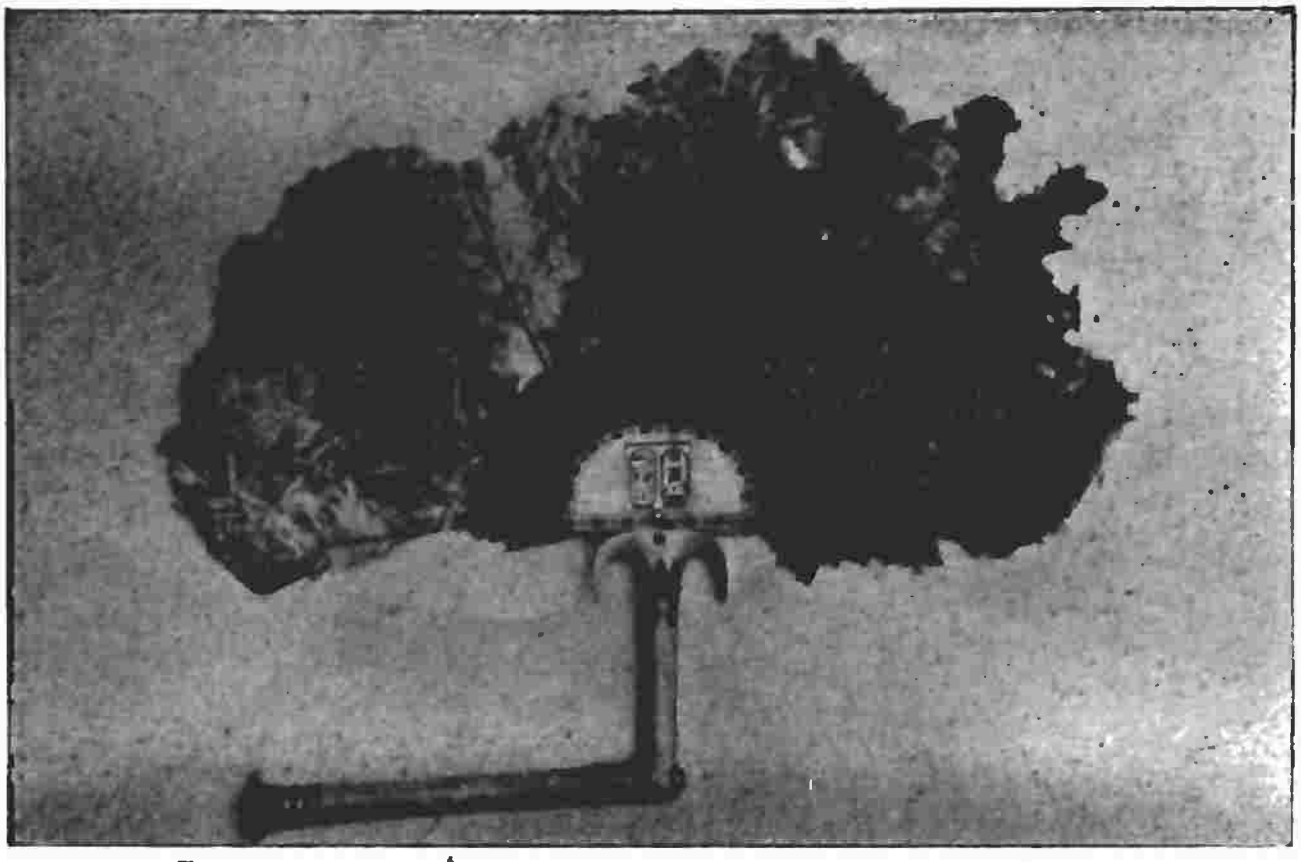

مروحة بديعة من ريش النعام والعاج ، منقوش على مقبضها أسماء الملك توت عنخ آمون

قاعدة من المرمر على شكل وعل
من مقبرة توت عنخ آمون

صندوق فاخر من الخشب ، مزين بصور
صغيرة ملونة (من مقبرة توت عنخ آمون)

اناء اسطوانى للعطر من المرمر
من مقبرة توت عنخ آمون

وكشف الأستاذ عثمان رستم كبير مهندسى مصلحة الآثار عن معالم البزليك الرومانية فى مدينة هرموبوليس العظمى ، وهى من أجمل ماخلفه العهد الرومانى الكلاسيكى فى الأقاليم الوسطى . وقد كان يشرف على أعمال الحفر فى هذه المنطقة الأستاذ محرم كمال ، الأمين بالمتحف المصرى ، ويقوم بأعمال الترميم المسيو باريز .

قام الأستاذ أحمد فخرى بأعمال التنقيب فى مقابر واحة سيوة والبحرية والخارجة واكتشف أماكن التعدين للأحجار الكريمة فى جنوبى أسوان .

واكتشف الأستاذ لبيب حبشى فى جزيرة الفيلة فناء لمعبد به مجموعة قيمة من تماثيل الأمراء .

وقام الدكتور أبو النجا عبد الله مدير الأعمال بمعبد الكرنك بترميم بوابة الملوك البوبطين وبترميم عمد صالة الكرنك الكبرى .

وقد كانت مصر فى جميع العصور قبلة السائحين من كتاب وفلاسفة وشعراء ومؤرخين يتشوقون للاطلاع على أسرار مدنيتها والاستمتاع بجوها الصحو الصافى . ولم يتردد اليونان والرومان فى احتمال متاعب السفر إليها فى عصرهم ، بل أحبوا أن يشاهدوا عظمة مبانيها وجمالها الساحر ، وحسبنا ما ترك حكاتيوس وهيرودتس المؤرخ وتيودور الصقلى واسترابو وبلوتارخ وغيرهم من مؤلفات قيمة دونوا فيها إعجابهم وتقديرهم لمصر . وكانت هناك مدن للترفيه فى مناطق الدلتا وبالقرب من مدينة الأسكندرية كأنوب ونوكراتيس ، حيث كان يفد إليها الزائرون من جميع أنحاء العالم ليهونوا على أنفسهم متاعب الحياة .

أما فى العصر الرومانى ، حيث ساد السلام مدة ثلاثة قرون ، فقد كان موسم السياحة عامراً وكان من السهل الوصول إلى مصر عن طريق البحر . ومن كان منهم على غير عجلة كان يفضل طريق قرطجنة براً . وكانوا يستعملون المراكب النيلية للوصول إلى أقاليم مصر العليا حتى حدودها الجنوبية . وفى نهاية السياحة النيلية كانوا يستعملون العربات أو يمتطون ظهور الحمير . وكانت قفط ملتقى طرق موانئ البحر الأحمر .

وذكر ارستيد من أزمير فى هذا الصدد عند مدحه للحكومة القيصرية :

« لقد خلعت عن العالم رداءه الحديدى العتيق وأعطيت الفرصة لكل فرد أن يشاهد بعينه جميع الأشياء فلا يخشى أحد ثغور كيليكية ولا مضايق بلاد العرب ومصر أو صحاريهما » .

وكانت الأسكندرية ملتقى طلاب العلم فى فروعه المختلفة وكانت لها شهرة عالمية ، كما ذكر لنا استرابون ، وإلى جانب السياح كانت مصر مقصد طلاب اللهو والملذات ، كما كانت مقصد المرضى يؤمونها للاستشفاء خصوصاً فى الشتاء حيث تتفتح الزهور ، ولا يمر يوم بدون أشعة الشمس . وكان النساء يزرن معابد الآلهة إيزيس حيث انتشرت عبادتها فى الدولة الرومانية ، وكن يحرصن عند رجوعهن إلى أوطانهن على أن يحملن معهن ماء النيل لإتمام مراسيم أعياد هذه الآلهة فى بلادهن . وقد استمرت حركة السياح وحب التنقل فى القرون الوسطى حتى بعثة نابليون . ويمكننا الإشارة هنا إلى بعض أسماء الزائرين وهم :

جرفن أفجارت — بيير بلون — الأب فانسليب — يونج — شامبليون — كادلفن

Greffin Affgart, Pierre Bellan, père Vausleb, Young, Champollion, Cadalveue

وقد تحدث الأخير فى رحلته عن سراديب تونا الجبل وشوارعها الطويلة .

إن مصر فى عهدها الحاضر تعد ملتقى الزائرين من جميع الأقطار الذين يفدون عليها عن طريق البر والبحر والجو ، حيث يجدون فيها فنادق موفرة بها أسباب الراحة ومسارح للتمثيل كالأوبرا وغيرها من الأماكن التى يكثر وجودها فى عاصمة البلاد المصرية . ودور التمثيل فى مصر تفتح أبوابها لكبار الممثلين الأجانب ، وكذلك يجد الزائرون دور التمثيل والسينما المصرية فينعمون بين آثار الغابر وبهجة الحاضر بالمتعة والصحة والرخاء .

وإن مصر وعلى رأسها جلالة الملك فاروق الأول لترحب بالعلم والعلماء والعاملين لخير الإنسانية وتفتح لهم أبوابها وآثارها ومتاحفها وكنوزها وسائر مباهجها ، ليستزيدوا من العلم بأسرارها وأخبارها ويمتعوا بجمالها وسحرها وينعموا بموفور خيرها .

أربعة رؤوس من المرمر بديعة الصنع ، تمثل الملك توت عنخ آمون

مروحة للحفلات لها مقبض طويل مكسو بالذهب — من مقبرة توت عنخ آمون

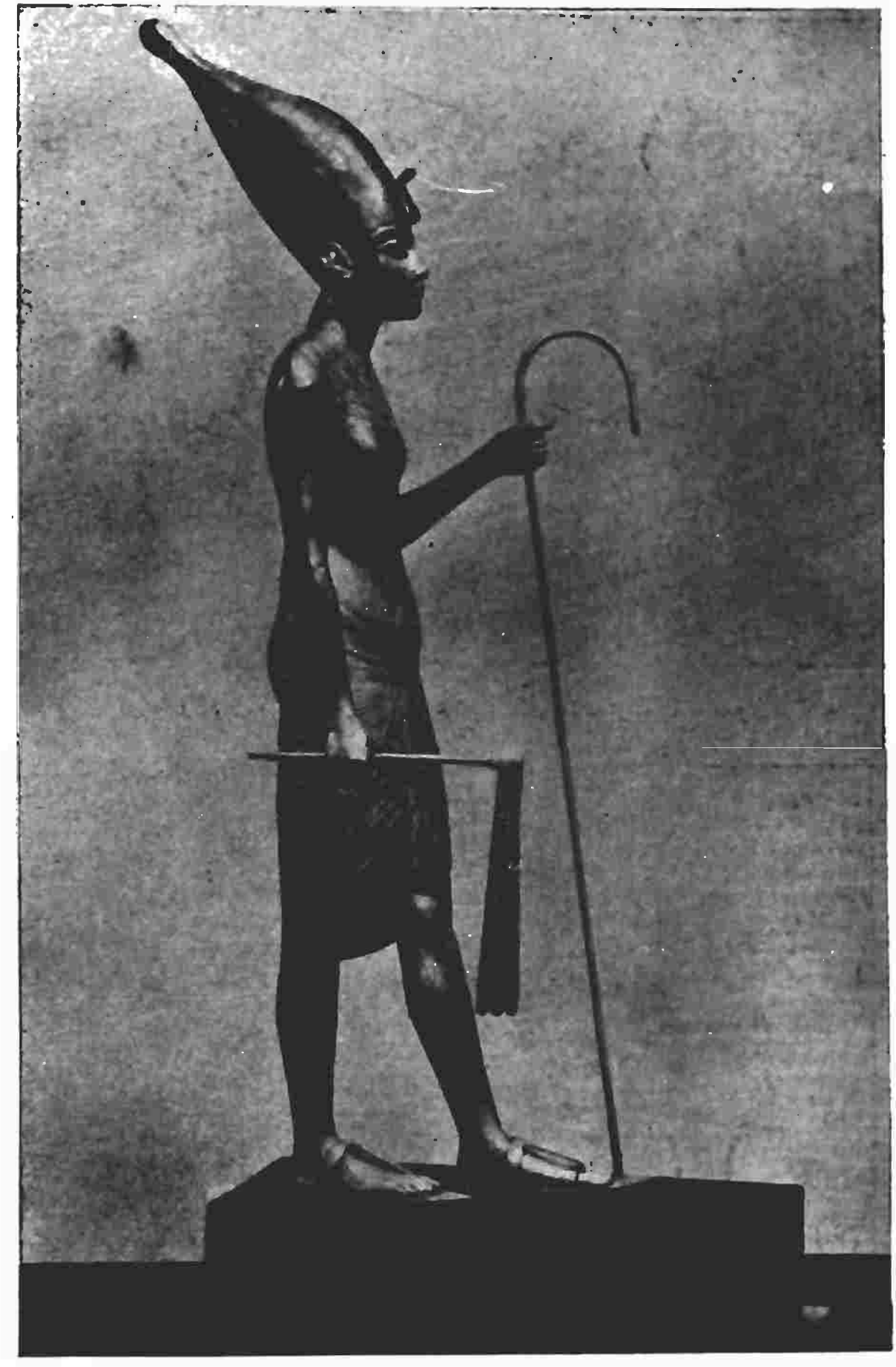

تمثال للملك توت عنخ آمون متوج بتاج الوجه القبلى الأبيض

إناء من المرمر بديع الصنع ، محلى بالذهب والعاج ويعلوه عقاب
(من مقبرة توت عنخ آمون)

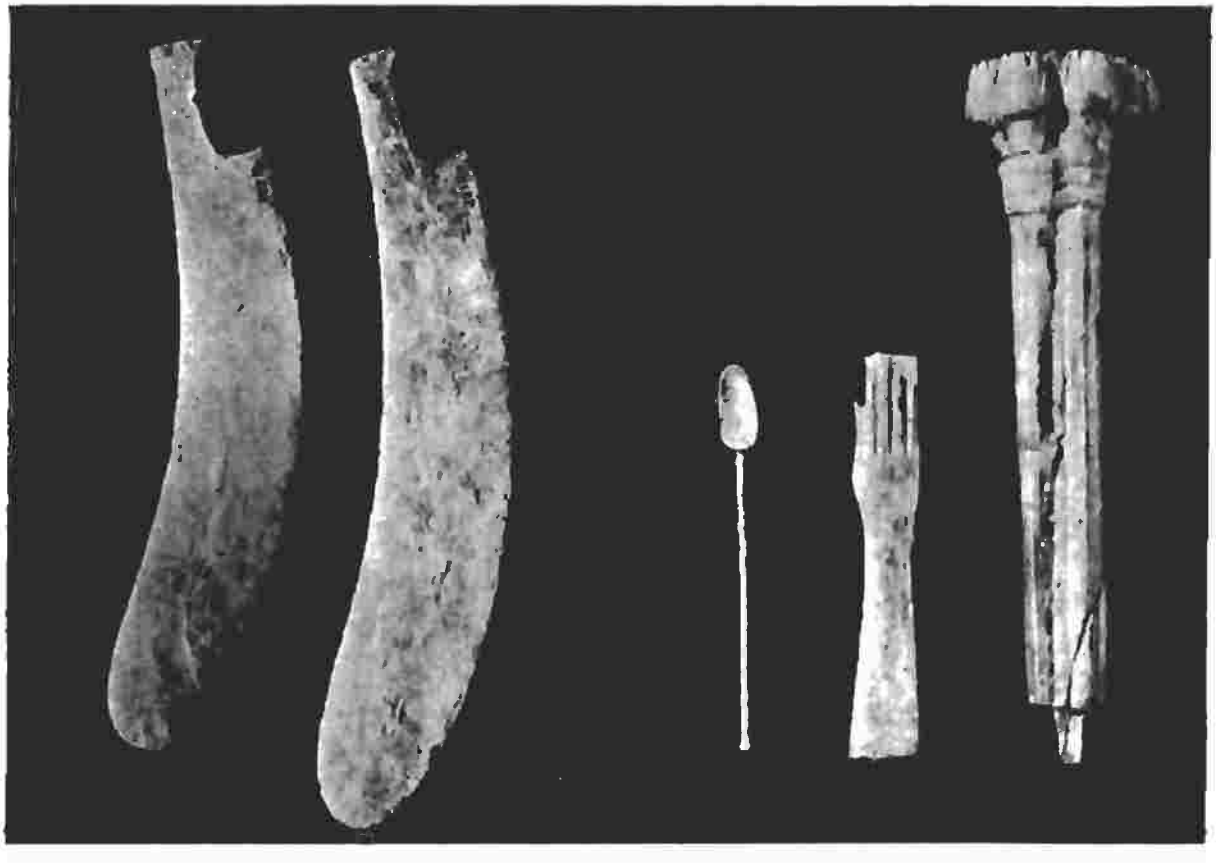

من حفائر الدكتور عبد المنعم أبو بكر بأشمونين

تمثال جميل من الحجر الجيرى الأبيض لمصرى يلبس
ملابس يونانية عثر عليه فى منطقة حفائر الاشمونية
عام ١٩٤٦

مدخل دهليز تحت الأرض مع مكتب المحفوظات والمعبد بمنطقة تونة الجبل

حي يضم معابد ومنازل بها رسوم — من حفائر الدكتور سامي جبره بتونة الجبل
(من عام ٣٠٠ ق . م . الى ٢٥٠ بعد الميلاد)

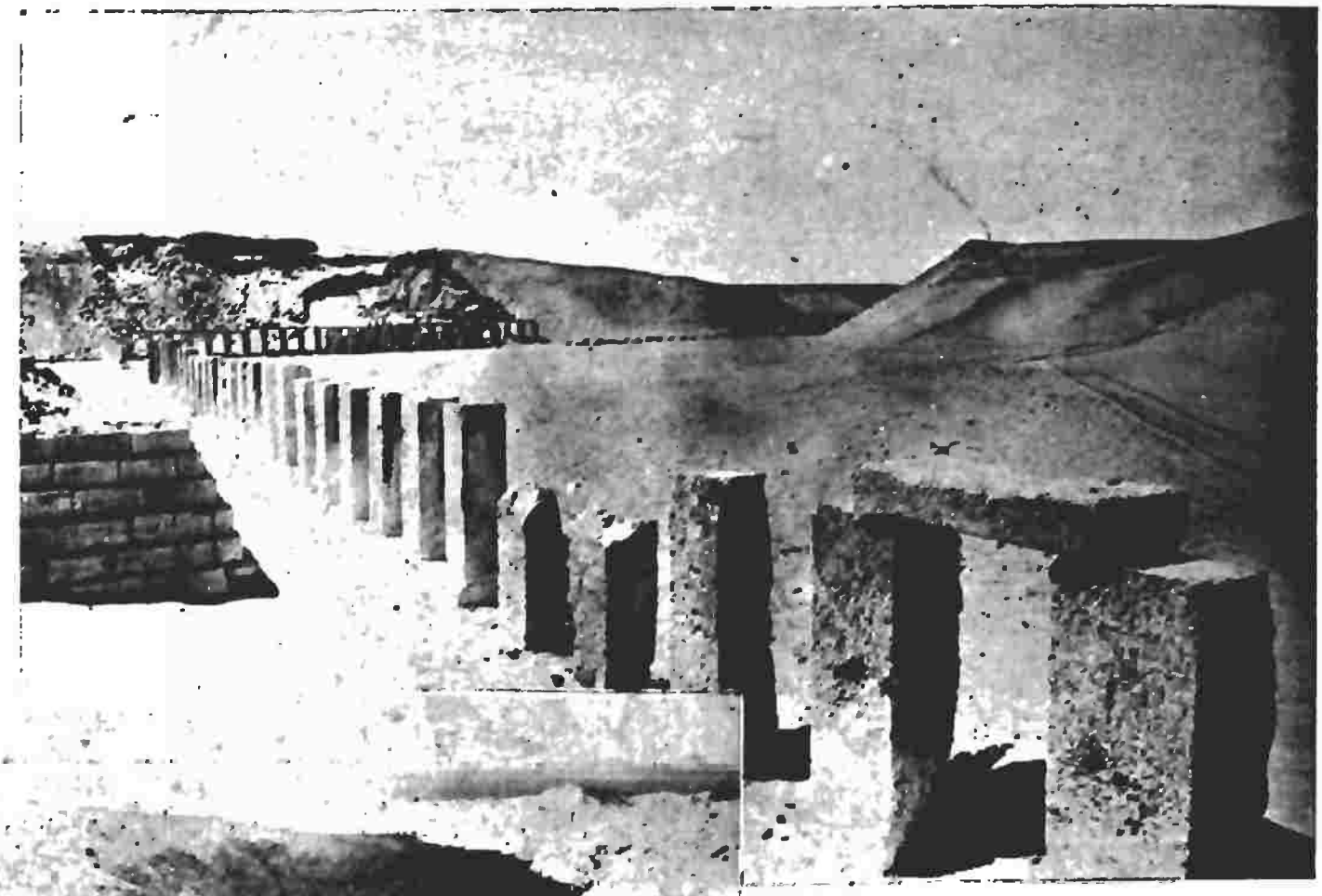

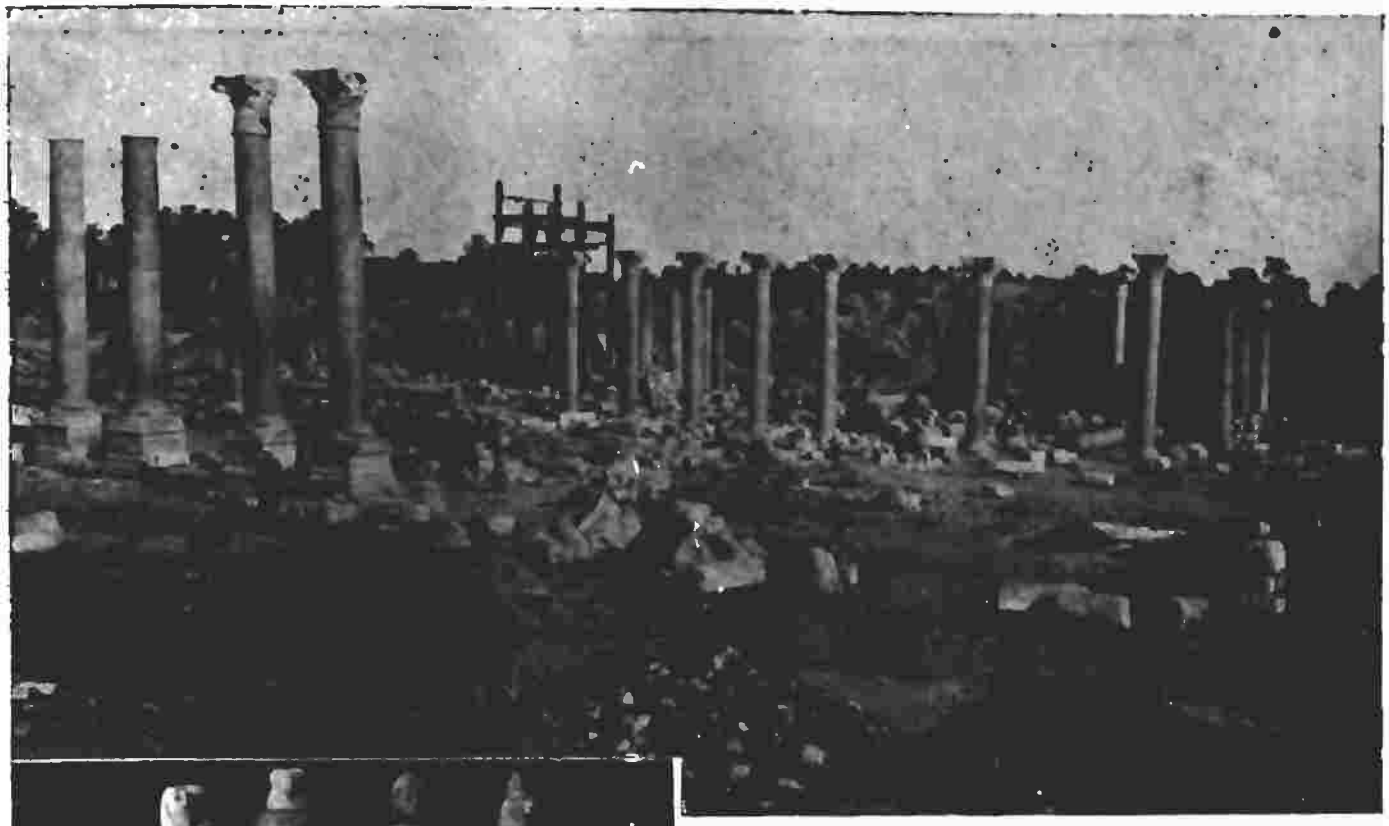

مدينة هرمبوليس من حفائر الأستاذ محرم كمال
(الأشمونين)

تمثال من البرنز لكاهن من سكان الدلتا
يتعبد أمام الايبس رمز الآله توت

مجموعة الآثار التى كشفت فى قبر الأمير شيشنق
ولى عهد المملكة المصرية

نقوش من الآثار الفرعونية

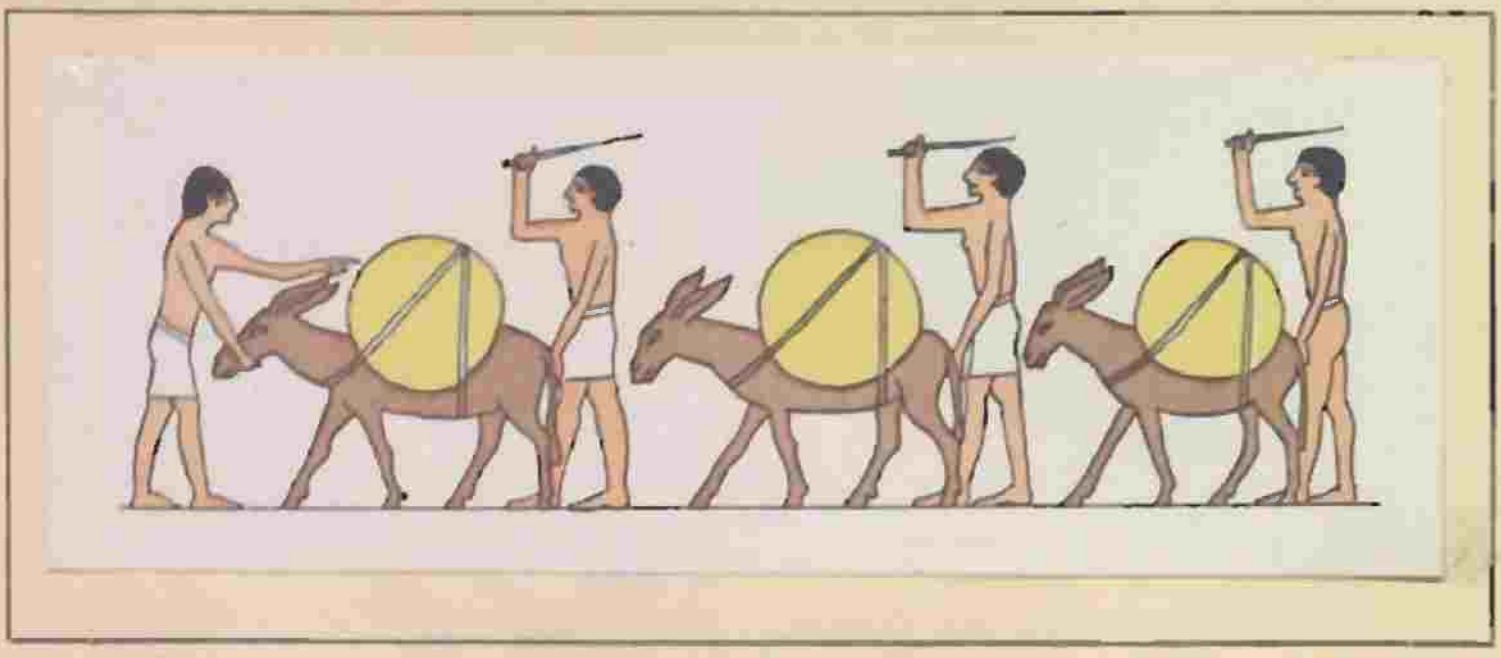

كان الحمار من وسائل المواصلات فى مصر الفرعونية.
كما هو الحال فى مصر الحديثة، بل كان الوسيلة الوحيدة قبل ظهور الجمال فى العهد الرومانى

حمل الحيوان المسكين على ظهره أثقل الأحمال ومضى بها فى دروب الصحراء ومسالك وادى النيل آلاف السنين.

وها هو يظهر فى الصورة مثقلا بعبئه راضياً كعهدنا به بما قسم له.

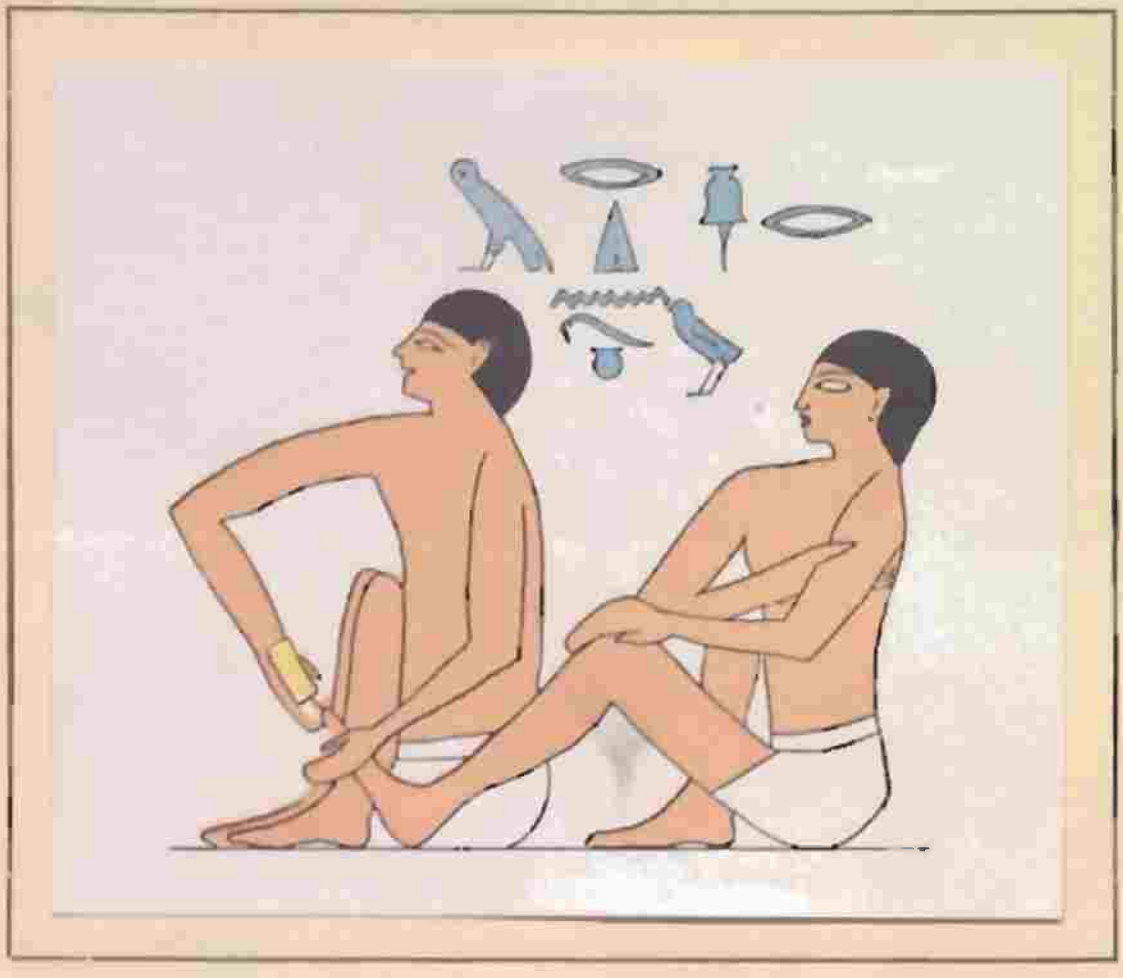

من الخطأ البين أن يتصور المرء أن المصريين القدماء لم يحفلوا بالعناية بأجسامهم . ففي مدافن الدولة القديمة المعاصرة لبناء الأهرام عثر على نقوش بارزة تمثل محترفي تجميل الأقدام (Pedicrue) يقومون بعملهم .

أنظر إلى الزبون في الصورة وهو يرجو العامل — طبقاً لما هو مدون بالهيروغليفية — أن لا يوخز قدمه . تماماً كما نفعل نحن في عصرنا الحاضر .

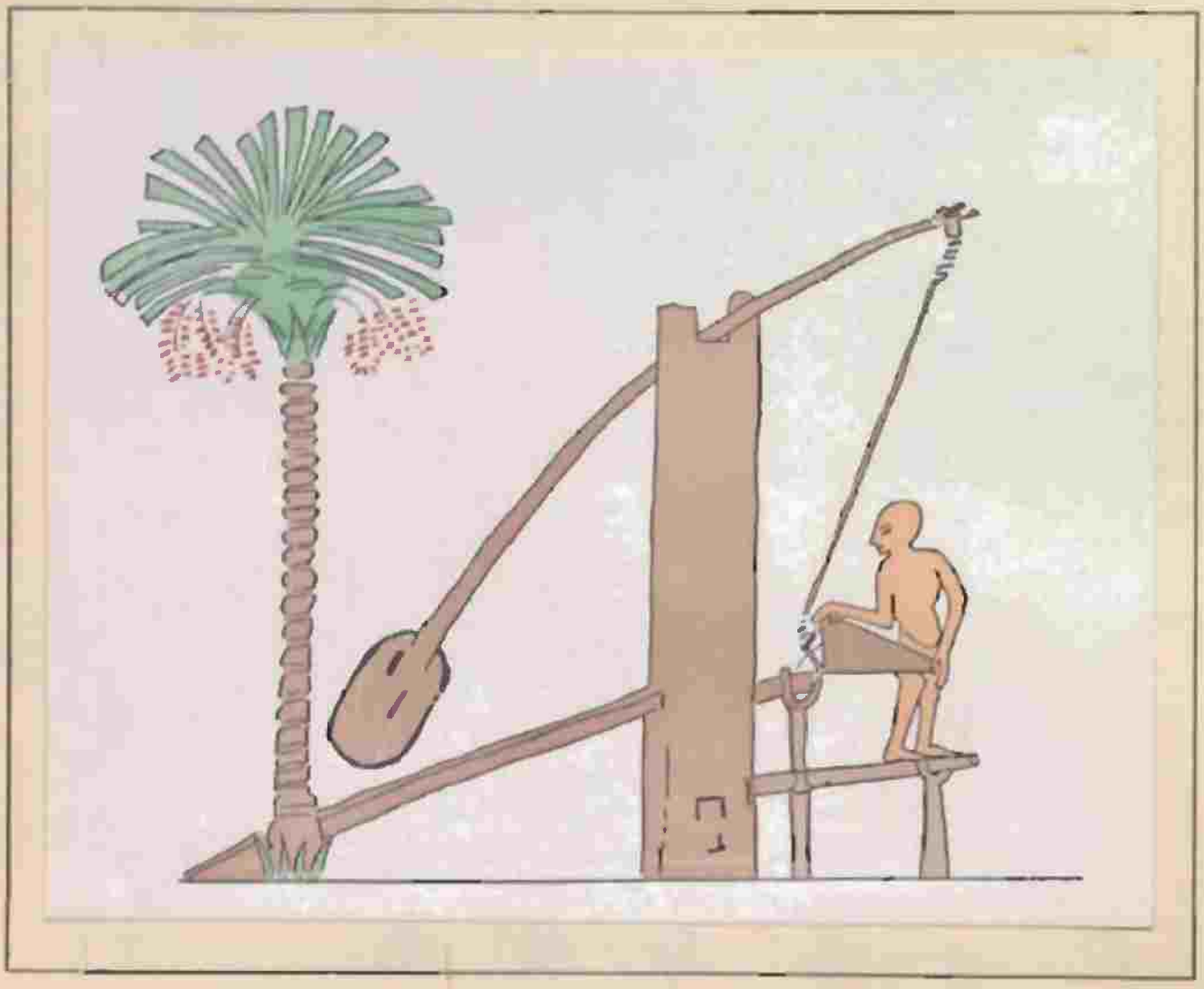

على غرار تقاليد الريف العتيقة ، يرجع استخدام الشادوف إلى عصر الفراعنة ، ولولا اختلاف الثوب لما وجد فرق بين فلاح اليوم وبين هذا الذى نراه على لوحة زيتية من عصر طيبة ، وهو يستخدم نفس الشادوف الذى لا يتكلف صنعه إلا القليل ، لرفع مياه النيل المباركة .

إن هذه الآلهة القابعة ملفوفة فى عباءتها وعلى رأسها ريشة النعام الطويلة رمزاً لإسمها هى « ماعت » العظيمة إلهة العدالة الابنة المعززة للشمس المقدسة ، ويقول تيودور الصقلى : إن رؤساء المحاكم فى مصر القديمة كانوا يعلقون ذلك التمثال المقدس على صدورهم بشريط ملفوف حول العنق .

ولا شك أن الصورة المرسومة هنا تمثل قلادة استعملت لذلك الغرض .

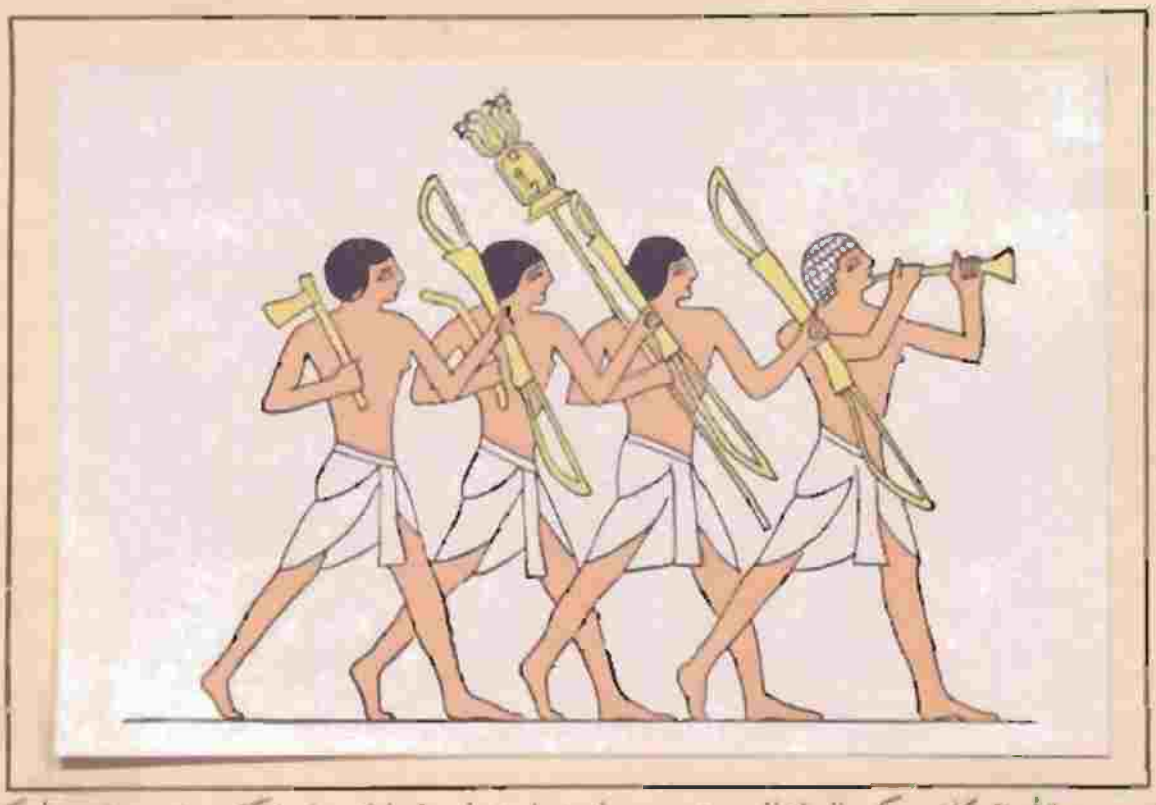

على صوت الأبواق كان موكب الزمالة المصريين يسير فى شوارع طيبة حاملا رمز ملكهم حتشبسوت ، ولم يكن مظهر هؤلاء الجنود الحربى مجرد ادعاء ، ولكنهم كانوا يختالون باسم الامبراطورية التى غزوها والتى امتدت إلى وادى الفرات

قد نظن أن جهل المصريين القدماء بنظام النقود عاق سهولة تجارتهم ، ولكن الحقيقة لم تكن كذلك . والدليل فى النقوش البارزة التى كشف عنها فى سقارة ، حيث نرى فيها سوقا تزخر بالحركة والنشاط ، يتبادل فيها المتعاملون عبارات التعامل التى نقشت باللغة الهيروغليفية . فإلى اليمين مشتريان امتلأت أيديهما يتجهان إلى متجر أحد الفلاحين الذى يعرض فيه البصل والقمح .

يقول الأول : هاك عقد جميل سوف يروقك بلاشك وتهفو نفسك لاقتنائه .

ويقول الثانى : وهاك مروحة .

فيرد البائع : دعانى أرى ما معكما لأحدد قيمته .

وفى وسط الصورة أحد الباعة للتجولين يعرض سنانير السمك وإلى يسارها امرأة تساوم أحد باعة الخرز ، وبين يديه صندوق صغير .

ليست المبادلة فى الواقع شيئاً من غيرها من وسائل المعاملة التى عرفنا كيف تحكم أساليبها .

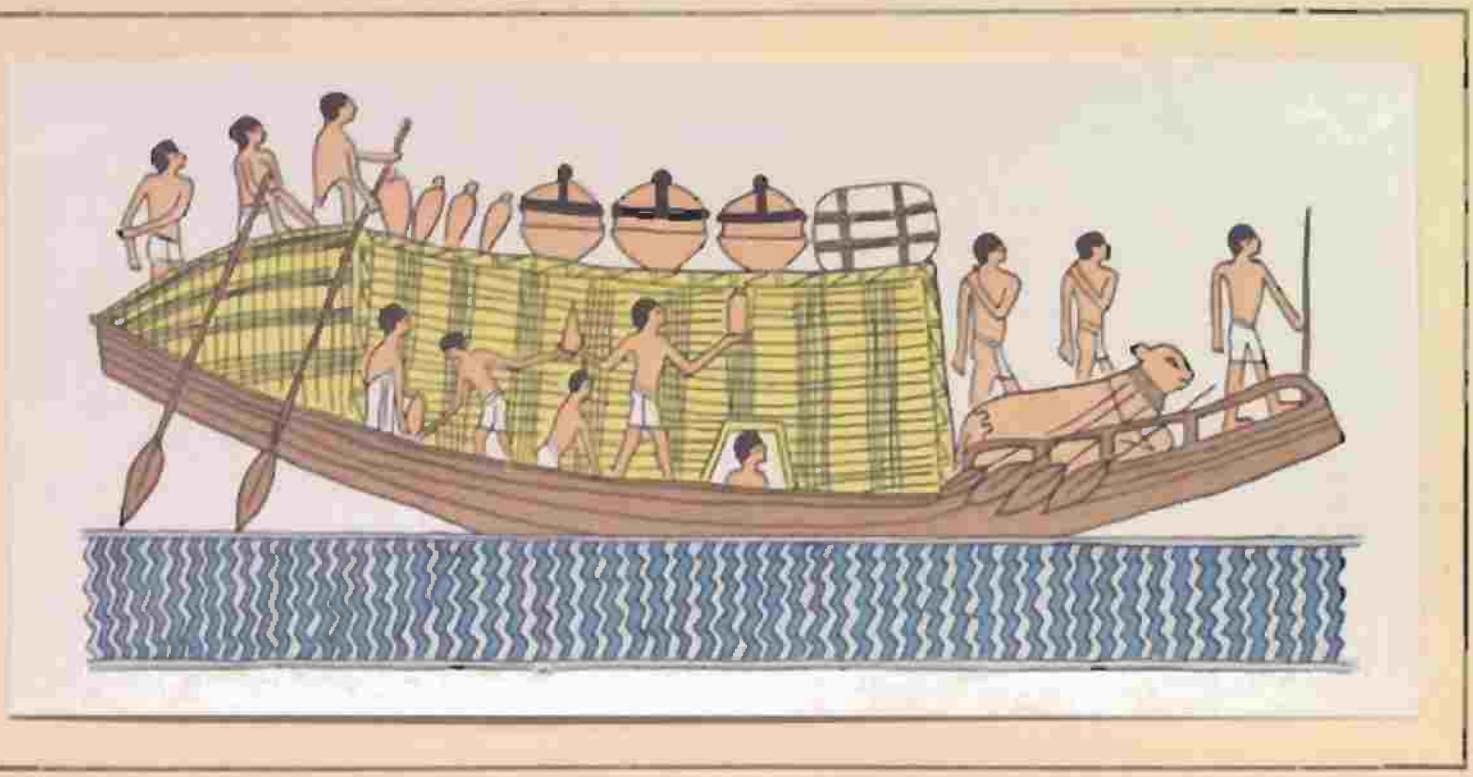

لما كانت العجلة غير معروفة فى الدولة القديمة ، فقد كان غالب الاعتماد على النقل فى القنوات الممتدة فى أنحاء البلاد .

وهذه المركب المثقلة تسير فى النيل . وهناك بحاران يوجهانها بواسطة المجاديف ، وثالث فى مقدمتها يجس عمق المياه ليتفادى كثبان الرمال ، فضلا عن ثلاثة ركاب يتمتعون بمشاهدة المناظر ، وأربعة آخرين مشغولين برفع مياه النهر فى قدور يناولونها إلى « طاهى المركب » الذى نشاهد صورته مرتسمة فى الباب المؤدى إلى داخل المركب .

فى بلد لم تعرف النقود هل كان هذا العمل يغنى عن دفع أجرة السفر ولو فى الدرجة الثانية ؟